- الموت وعظاته -

الحمد لله الحي الذي لا يموت والجنّ والأنس يموتون ، هو الباقي بعد خلقه ، والدائم الذي لا يزول ، وهو الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء .

كتب على أهل هذه الدنيا الفناء وجعل لنفسه الشريفة دون سواه البقاء ، فقال " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ "[الرحمن(٢٦)(٢٧)]

وأصلي وأسلم على من نعاه الله لنفسه فقال له :

" إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) سورة الزمر ٣٠ .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، أمّا بعد

فأصيكم ونفسي أيها النّاس بتقوى الله ، فإن من اتقى الله وقاه ، ووفقه وهداه .

عباد الله /

حقيقةٌ ننساها أو نتناساها ، وأمر جلل نغفل أو نتغافل عنه ، وحَدَث بيّن ظاهر نحاول أن نتعامى عنه مع أنّه لايزالُ ماثلاً أمام كل واحد منّا لايمكنه إنكاره .

هذه الحقيقة – أيها المؤمنون – وهذا الأمر الجلل هو : الموت .

الموت الذي قضاها الله على العباد ، وكتبه على الخلائق كلِها ، وأذلّ به كل مخلوق مهما علا شأنه وارتفعت مكانته ، وعلت رتبته .

الموت الذي قصم الله به الجبابرة والملوك والأكاسرة والوزراء ، وأرباب الأموال وأصحاب المناصب وكل الخلائق بلا استثناء .

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب * متى حُط ذا عن نعشه ذاك يركب .

الموت – يا عباد الله - يعرّفنا حقيقة الدنيا وأنّها دار سراب وخداع ، وأنّ حيها يموت مهما عظمت قوته ، وعلا شأنه ، وكثر جنوده وحراسه .

وأنّ عزيزها يذله الموت بصرعته ، وأنّ شابها يُخطف في ريعان شبابه بلا مقدمات ، وأنّ صحة الصحيح لا ترد الموت ، وقوة القوي تضعف أمامه .

الموت يجعل القلب الحي يوقن أنّ العيش قصير ، فماهي بالله عليكم ستون سنة - هذا إن عاشها المرء - أولها في صغر وأوسطها ربما طغت عليه أمراض ، ناهيك عن نوم وشيخوخة وكبِر وضعف ، فأي غفلةٍ قد تسلطت علينا ونحن نتعامى عن الموت ؟

ووالله لو عقلنا لعلمنا أنّنا في ظلم عظيم لأنفسنا .

عباد الله

كثيرون لم ولن ننساهم ممن تقدمنا من الأموات ، ولكن يبقى لكل منّا من الأموات عزيزاً لا ننساه إمّا لقرابة أومعزة أو لفُجأة موته أو لغير ذلك من الأسباب .

يقول أحدهم : لن أنسى صديقاً لي كان مغسّلاً ومشرفاً على مغسلة للأموات ، أتذكره كثيراً فقد كان – رحمه الله – كثيراً مايتصل عليّ فيقول : ياشيخ اليوم عندنا صلاة جنازة ، فاسأله منَ : فيقول : فلان ، وبعد يومين بعدها يتصل فيقول : ياشيخ اليوم عندنا صلاة جنازة ، فاسأله منَ : فيقول : فلان .

حتى جاءت ساعة منيتُه فإذا هو الميّت ، والمنقول خبره في الأموات بعد كان هو الناقل لأخبارهم .

لقد مات كغيره في ريعان شبابه .

كان ينقل لنا أنباء الأموات فإذا هو النبأ .

وصدق الأول :

كُلُّ ناعٍ فَسَيُنعى * كُلُّ باكٍ فَسَيُبكى
كُلُّ مَذخورٍ سَيَفنى * كُلُّ مَذكورٍ سَيُنسى
لَيسَ غَيرَ اللهِ يَبقى * مَن عَلا فَاللهُ أَعلى .

ويقول أحد الإخوة :أذكر أنّه جاءني شابٌ ليلة جمعة سلّم عليّ وجلس عندي قليلاً ثم خرج وإذا به اليوم هذا اللقاء يموت فيه .
يقول الرواي : والله إنّي أتصوّره الأن واقفاً أمامي ، هل كان ذلك الشاب يوم دخل على هذا يظن أنه آخر مرة سيرون بعضهم !

هل كان يظن أنّه لم يبق له في الحياة إلا ساعات معدودات !

هل كان يظن أنّ الليلة القادمة هي آخر ليلة له في الدنيا !

لا ، ومالك يوم الدين .

الموتُ– ياعباد الله – كثيراً مانحاول أن نستبعد عنّا ،نظنّ أنّ بيننا وبينه بوناً شاسعاً ، وأمداً بعيداً ، وأنّ الحياة لازالت أمامنا ، والعمر فيه بقيّة باقية ، فإذا بالموت يفاجأ الشاب في شبابه ، والعروس في خِدرها ، والمتحفّز للنجاح يوم نجاحه ، والمتأهِبُ للتخرج قُرب تخرجه ، فإذا بهم جميعاً قد أصبحوا خبراً بعد عَينٍ وأثراً بعد ذات

احفظ – ياعبد الله - هذه :

الموت لا يعرف سناً معيّناً

ولا سبباً معيناً

ولا مكاناً معيناً

ولا حالا معينة .

وإنّما يعرف أمر الله وأنّه :

" إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً۬ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ "

يُؤمّل أحدُنا في أمر فإذا فيه حتفه .

ويسعى أحدنا لشيء فإذا الموت ينتظره .

الموت – يا أمّة محمد – فضح الدنيا فلم يترك لذي لبٍ فرحاً .

ولذا كان لزاماً على كل ناصحٍ لنفسه أن لا يُعلَّق قبله في الدنيا لأنها دار غرور وخِدّاع لأهلها .

لقد وصف اللهُ سكراتِ الموتِ في كتابه رَحَمةً بالعباد الناصحين لنفسهم ، الحريصين على نجاتها، ولتنقطع الأعذار عن العالَمين ، وبيّن أحوال النّاس عند سكرات الموت ليسعى كل واحدٍ جهده لأن يفوز بأحسن الأحوال ، ولينجو من سكرات الموت العظيمة التي عانى منها حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى البخاري- رحمه الله **عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ ، وَيَقُولُ : (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ) ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: (فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى) حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَده .**

عباد الله

يقول الله في خاتمة سورة الواقعة – واصفاً حال الخلق عند سكرات الموات: " **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ) ٨٥ (فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (87) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88)فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** (96

فهذه الآيات – أيها المسلمون - تصف أحوال الناس عند قبض الأرواح أعظم وصف بأجل بيان ، وفيها التحدي الأعظم من الرب

سبحانه للعباد ، وفيها الضعف البيّن من الخلق وهوانهم ، فالميت أهلُه ومحبوه قد أحاطوا به من كل جهة وكلُ واحد منهم شَفِقاً عليه وعلى حاله فيأتي ملَك الموت – وهم محيطون به - فينزع هذه الروحَ بلا استأذانٍ من أحد ولا اعتراض من مخلوق .

والنّاس في سكرات الموت أحد ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، صنفان مكرَّمون - وهم السابقون وأصحابُ اليمين - وصنفٌ معذَب موبق مهان – نسأل الله السلامة والعافية – وهم أصحاب الشمال ، وقد بيّنت السنة هذا الحال وجلته ووضحته أعظم إيضاح ، ففي حديث البراء رضي الله عنه قال :

خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ

قَالَ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَاحَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُك فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي

قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى

يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ

فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُك

الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ " رواه الإمام أحمد و أبو داود .

فهذا الحديث العظيم يجلّي لنا حالة الخروج الروح وانقسام الخلائق معها إلى أهل سعادة ونعيم ،وإلى أهل شقاء وعذاب ، فحريٌ بكل عاقل أن يحرص على نجاته نفسه في هذه اللحظات العصيبات فهي

أحرج لحظة تمرّ على المرء في دنياه وهي آخر ساعات الشدائد لهم فيها .

فاختر لنفسك – ياعبدالله– أي الحالين تريدين ؟

وأي الرجلين تكون ؟

وأيقن أنّها إنّما أعمالك وصنيعك ، فإذا كنت من الأتقياء فأبشر بالروح والريحان والبشرى عند الموت والراحة عندها ، والنعيم المقيم بعدها والسلامة من العذاب والآلام أبد الآباد .

وأعيذ نفسي وإياك أن نكون من أهل الخزي والنكال والعذاب بالإصرار على الذنوب والتفريط بالأوامر فورب السماء والأرض أنّنا لا نقوى على العذاب لحظات ، فكيف بعذاب يطول وشدة لا تزول ؟

فليعمل الناصح منّا لنفسه على أن ينجو من هذه الشدائد وذلك بالإكثار من الأعمال الصالحة وتجديد التوبة على الدوام .

بارك الله لي ولكم ....

الخطبة الثانية

الحمد لله الرحيم التواب ، غافر الذنب ، شديد العقاب ، والصلاة والسلام على من عرف قدر ربه فاستغفره بالليل والنهار ، صلى الله عليه وعلى وآله وصحبه والأطهار أما بعد

أيها المؤمنون

النّاس يهابون الموت وينزعجون منه وهو راحة لأهل الإيمان والتقوى ، فهم سيرتاحون من الدنيا ونصَبها ، وسيُقبلون على النعيم المقيم لهم الذي أعده الله لمن أطاعه واتقاه .

وإنّما يهاب الموت وينزعج منه كثيراً من هو منغمساً باللذات ، ناسياً أوامر ربه ، فلا يريد هذه اللذائذ المحشوة بالغصص أن تفوته ، وماعلم المسكين أنّ الموت يأتيه بغتة فيحرمه منه أو يأخذ فجأة وهويعاقر ما حرّم الله عليه .

جاء في حديث مَالِكٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ ، فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ!

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟

قَالَ : الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ .[رواه البخاري ومسلم] .

فالمؤمن يستريح من نَصَب الدنيا وهمومها وغصصها .

لأنّ الحياة الدنيا - كما هو معلوم - مليئة بالغصص والآلام والتعب والهموم حياة لا يركن إليها عاقل ولا يتعلق بها ناصح لنفسه .

ومابعد الموت خير للمؤمن لأنّه سيفد إلى ربٍ كريمٍ وعد عبده المؤمن النعيم المقيم ، وقد بيّنت آيات كثيرة حال وفود المؤمنين على ربهم وخروج أرواحهم ، يقول الله سبحانه :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) سورة فصّلت

ويقول سبحانه :

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)

فهذه الآيات ونحوها يقرأها المؤمن فتنزل السكينة على قلبه ، ويشعر بطمأنينة الفؤاد ، ويعلم أنّه قادم على كريم جواد واسع الفضل والعطاء .

فإذا ما أُدخل المؤمن قبره فهو مع ضيقه الظاهر إلا أنّه أوسع من هذه الدنيا لأنّه غدا روضة من رياض الجنّة ينعم فيه المؤمن ويسعد فيه ، وكم نسمع من رؤى صالحة يراها النّاس لقبور الصالحين وقد امتلأت نوراً وحبوراً وسعادة وأنساً ، وماذاك إلا لأنّهم عملوا صالحاً وابتعدوا عن الحرام ، فكانوا في الدنيا على ما يُرضي الله ففازوا في قبورهم بالراحة والأنس والسعادة .

فليسعد كل كل مؤمن بحياته بعد موته ،وليهنأ من عمل صالحاً وآثر مراضي الرحمن وجاهد نفسه لينال هذه المكرمات .

أمّا العبد المعرض عن ربه ،المفرّط بالأوامر المرتكب للمناهي فهو الذي تجده عظيم الخوف من الموت شديد الرهبة منه لأنّ الله قد توعّد من عصاه بالعذاب والنكال خصوصاً وهو يعلم أنّ القبر سيضم على هؤلاء العصاة حتى تختلف أضلاعهم ، ويكونون في شدة وضيق وألم وعذاب ، ولذا حريٌ بالناصح لنفسه ، منَ أمهله

الله ، وأنسأ له في أجله أن يحمد الله ويغتنم فرصة الحياة ويعدّل الحال والمسيرة وأن يعود إلى ربه العودة الصادقة قبل نزول الموت به عندها لا ينفع الندم .

اللهم ارزقنا التوبة النصوح ، وخذ بنواصينا لما تحبه وترضاه اللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين ولا أقل ذلك يارحمن

هذا وصلوا على البشير النذير ...

خطبة / الموت وعظاته

جامع عمر بن الخطاب بأملج

عادل بن عبدالعزيز المحلاوي